الشيخ ابو علي

ابن سينا

بقلم منوشهر مؤدب زاده
صاحب مجموعة الايرانية

— ١ —

الشيخ الرئيس ، حجة الحق ، رئيس العقلاء ، شرف الملك ، أبو علي حسين بن عبدالله ابن سينا . هذه هي الالقاب التي نعرفهُ بها غير أن لقب (الشيخ الرئيس وحجة الحق ورئيس العقلاء) ليست ألقاباً سلطانية أو أميرية بل هي ألقاب لقبَّهُ بها العلماء وعرف بها بينهم ونرى أن كلمة (حجة الحق) قد استعملت من بعده لقباً لبعض أعاظم الفضلاء كالخيام مثلاً . اما الشيخ الرئيس فهو من ألقابهِ المخصوصة وقد يقال لهُ (الشيخ) اختصاراً فأينما استعمل هذا اللقب في الكتب الفلسفية فهو المقصود بهِ . وأما كلمة (الرئيس) فكانت تستعمل في ذلك العصر لقباً لاعاظم الرجال وكانوا يضيفون اليهِ بعض الاحيان ألفاظاً كالاستاذ والفاضل وما اشبه ذلك من الالفاظ الدالة على زيادة في الإجلال والاكرام . ومنها لقب (الشيخ الرئيس) الذي تفرَّد بهِ ابن سينا وأصبح علماً له بعد ذلك

وشرف الملك من الالقاب السلطانية التي عرف بها الشيخ . ويظهر لنا أن اشتغاله بالمناصب الملكية والتصدي لامور الوزارة قد منحاه هذا اللقب . ونراه مذكوراً في رسائل كتبت للشيخ من معاصريه وصرح بهِ القاضي ابن خلِّكان في كتاب وفيات الاعيان ايضاً ولكنهُ ليس من الالقاب المتداولة كثيراً بين الناس

واما نسبه فالمشهور هو ما ذكرناه ولكن ثمَّ طائفةٌ تزعم غير ما قررّناه وتجعل سينا جدّاً ثالثاً للشيخ أبي علي ، ويذكرون نسبه كما يأتي : أبو علي حسين بن عبد الله بن حسن بن علي بن سينا

وكان أبوه عبد الله من مدينة بلخ وقد هاجر في أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية

(من سنة ٣٦٥ — ٣٨٧ هجرية) الى مدينة بخارى[1] عاصمة الحكومة السامانية وفي زمن نوح ابن منصور المذكور توظف في دوائر الحكومة وباشر أعمال الدولة وكان عاملاً في إحدى قرى بخارى تسمى خَرْمَيْثَن (فتح الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الميم وسكون الياء وفتح الثاء المثلثة قرية من قرى بخارى — معجم البلدان ص ٤٢٤) وقد تزوج من فتاة من أهل قرية أَفْشَنَه (وأفشنه بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الشين المعجمة قرية من قرى بخارى. — راجع معجم البلدان صفحة ٣٠٥ من المجلد الاول) تسمى ستاره — حسبما ذكرها ابن خلكان — فولدها أبا علي (وستارة لفظة فارسية بمعنى كوكب). وقد اختلفوا في سنة ولادة الشيخ فمنهم من قال انهُ ولد في سنة ٣٧٣ هـ وقد نظم فيها بعض الشعراء بالفارسية ما معناه أن حجة الحق أبا علي ابن سينا وُلد في (شجع — ٣٧٣) ودرس كل العلوم ومارسها في (شصا — ٣٩١) وتوفي في (تكر — ٤٢٧)

ومما يستفاد من المقدمة التي كتبها تلميذ الشيخ (أبو عبيد الجوزجاني) الآتي ذكره على كتاب «الشفاء» ان أستاذه كان يبلغ من العمر ٣٢ عاماً سنة ٤٠٤ مما يدل على انه ولد عام ٣٧٣ ويقول الشهرزوري ان ولادة الشيخ أبي علي كانت في سنة ٣٧٠ ويوافقه جلّ المؤرخين القائلين ان وفاة ابن سينا كانت في سنة ٤٢٨ وكان إذ ذاك يبلغ من العمر خمساً وخمسين سنة وهو مطابق للتاريخ المذكور ايضاً

ويقول لنا ابن سينا في رسالة كتبها عن نفسه وأودع فيها سيرة حياته ما ترجمتهُ: انهُ عند ما تفرّغ من الطب وأتم دراسته كان لا يبلغ من العمر اكثر من ستة عشر عاماً ثم دعاه الملك السامانيّ نوح بن منصور لمعالجة مرضه الذي أعيى الاطباء واستعصى عليهم وكانت وفاة نوح في سنة ٣٨٧ فاذا فرضنا ان ولادة ابن سينا كانت في سنة ٣٧٣ كما يدّعون تكون سنّهُ عند ما توفي نوح بن منصور لا تتجاوز الرابعة عشرة او الخامسة عشرة وهو يخالف كل المخالفة ما ذكره

(١) وكانت بخارى في ذلك العصر عاصمة الدولة السامانية الايرانية التي ينتهي نسبها الى بهرام جور الساساني وكان لهم اهتمام بالشعر والادب الفارسي الذي أخذ ينمو بعد ان أخذت جذوته الفتوح الاسلامية فأكرموا الشعراء واصطفوهم وأسبغوا عليهم نعمهم وبذلوا لهم الصلات والهبات فزها الشعر الفارسي ونما وأزهر وأينع وصارت بخارى مقصد الشعراء ومحط رحالهم فكثر الشعراء والادباء حتى لم تكن مدينة او بلد او قرية لم يقم منها شاعر او أديب من الايرانيين وقد أمر ملوك بني سامان بنقل كتب من اللغة العربية الى الفارسية فنقلت. ومن أهم ما نقل في هذا العصر كتابا التاريخ والتفسير للطبري وهما اليوم لحسن أثر ودليل على الثقافة الادبية الايرانية في ذلك العصر الذي يعد فجر النهضة وسلاسة الالفاظ والعذوبة اللتين تظهران في هذين الكتابين وتدلان على ذلك الاستعداد العظيم الذي نهض بالادب الايراني نهضة لم يكن ينتظرها التاريخ

الشيخ عن نفسه فانه يقول أنهُ أتم دراسة الطب في السادسة عشرة ولا بد ان يكون قد اشتغل قبل ذلك بالطب وارتفعت شهرته وعلا صيته حتى دعاه الملك السامانى لمداواته . ولكن اذا جعلنا تاريخ الولادة سنة ٣٧٠ خرجنا من هذا المأزق . أليس من العجب ان يكون الراوي لهذه الرسالة والمذيل لها هو أبو عبيد المذكور مع ذلك نراه يقول في مقدمته على كتاب « الشفاء » ان استاذه كان يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً سنة ٤٠٤ ؟

ففي ما ذكرناه ما يكفي لان نقول ان ولادته على أصح الروايات كانت في سنة ٣٧٠ والآن نعود الى سيرة حياته فنقول : —

بعد ما وُلد ابو علي في افشنة انتقل به والده الى مدينة بخارى وسكنوا وأرسل ولده الى احد الكتاتيب . ومن هنا تبتدىء حياته العلمية وتفاته النادرة فانهُ لم يبلغ العاشرة حتى كان قد حفظ القرآن الكريم ودرس اكثر فنون الادب

وكان أبوه من الشيعة الاسماعيلية القائلين بامامة اسماعيل بن الامام جعفر الصادق وكان يراجع رسائل اخوان الصفا وأبو علي يسمع ما يدور بين أبيهِ وأخيهِ وما يتذاكران فيهِ من المسائل الفلسفية الاسماعيلية في مبحث العقل والنفس وما أشبه ذلك فتأثرت نفسه بما سمعهُ منهم وتمكن حبُّ الفلسفة من نفسهِ ورغب في دراستها . ولكن أباه أرسله ليتعلم الحساب فاشتغل بدراستهِ وأتقنه على احد أساتذة هذا الفن . واتفق ان أبا عبد الله الناتلي زار مدينة بخارى في تلك الايام (وناتل بلدة قديمة من بلاد طبرستان) وأبو عبد الله هذا هو أحد فلاسفة القرن الرابع وكان من جهابذة فن الالهيات وممن يُشار اليهم بالبنان في هذا الفن وقد ألَّف كتباً في الفلسفة ومنها كتاب في بيان « مدى السر الطبيعي » . وقد نقل عنهُ البيروني في كتابهِ المسمى بالآثار الباقية ص ٨٣ ومنها كتاب آخر في شرح الوجود ورسمهِ وقد شاهده الشهرزوري وارتضاه وكانت عنده نسخة منهُ

وقبل ان يزور أبو عبد الله الناتلي بخارى كان أبو علي يقرأ الفقه على اسماعيل الزاهد ولما ورد أبو عبد الله بخارى أخذه عبد الله أبو الشيخ أبي علي بن سينا الى بيتهِ وأضافهُ عنده ليدرس ابو علي عنده الفلسفة فقرأ هذا على الناتلي بعضاً من المنطق وقسماً من هندسة اقليدس ولكنهُ بعد ان درس ستة من الاشكال الهندسية وفهم طريق حلها استخرج باقي الاشكال ودرسها من نفسهِ وقرأ أيضاً بعض المجسطى عند الناتلي ولم يشكل عليهِ فهم بقية الكتاب

ولكن أبا علي لم يقدّر هذا الاستاذ حق قدره فهو يحتقره فيما يقول عنهُ ومما يقول فيهِ انهُ قرأ عنده ظواهر المنطق وأما الدقائق فلم يكن للناتلي إلمام بها ، ويقول ايضاً « عندما شرعت في قراءة المجسطى قال لي اقرأ الكتاب وأوضح مسائله ثم أعرض عليَّ أفكارك لأصلح

لك الخطأ ولا دلك على الصواب ولكن هذا الرجل (اي الناقل) لم يكن يفهم الكتاب، فشرعت انا في المطالعة والدرس وأوضحت ما أشكل من القضايا والمسائل وما أكثر القضايا التي لم يفهمها حتى عرضتها عليه وأوضحتها لهُ »

ثم سافر الناقل بعد ذلك الى مدينة جرجانج وظلَّ أبو علي يطالع الكتب الفلسفية ويدرسها وحده وقد نجح في ادراك اكثر مطالبها وايضاح معظم مسائلها المشكلة العويصة

ثم أقبل ابن سينا على دراسة الطب وهو يعتقد ان هذا العلم ليس من العلوم الصعبة ولذلك تمكَّن من اتقانه في زمن قليل واشتهر فيه فقصده علماء هذا الفن وأخذوا يقبلون عليه للاخذ عنهُ فأصبح مقصداً لعلماء هذا الفن ومحطَّاً لرحالهم . وكذلك قصده المرضى فجعل يداوي من قصده حتى برع في الطب ووقعت له تجارب ذات شأن ربما لم يصبها من كان قبله . وكان اشتغاله بالطب بينما كان يدرس الفقه وهو لم يتجاوز السادسة عشرة ثم عاد الى دراسة المنطق والفلسفة وأخذ يدوِّن القضايا الفلسفية ثم يعرضها على القوانين المنطقية واستمرَّ مثابراً على عمله هذا زمناً لا يقل عن ثمانية عشر شهراً لم ينم فيها الاَّ قليلاً طرفاً من الليل فأتقن الفنون المنطقية والطبيعية والرياضية وفهمها وأوضح ما اشكل منها . ثم شرع في دراسة علم الالهيات وقرأ كتاب (ما بعد الطبيعة) لارسطاطاليس وأعاده اربعين مرة حتى حفظه عن ظهر قلب ولكن مع ما بذله من الجهد لم يتمكن من فهم ما حواه الكتاب من المطالب فتطرق اليه اليأس وربما اراد الانصراف عن علم الالهيات ولكن وافاه الحظ وقتَ ما عثر على رسالة لابي نصر الفارابي كان قد كتبها لبيان اغراض ارسطو في (ما بعد الطبيعة) فكانت هذه الرسالة أحسن سبب في فض ما اشكل عليه من علم الالهيات ففهمهُ واتقنهُ كسائر العلوم . ثم ارسل اليه نوح بن منصور ودعاه ليداويه فانتهز الشيخ هذه الفرصة ولم يضيعها وطلب من الملك السماني ان يسمح له بالدخول الى المكتبة الملكية فأذن له وكانت هذه المكتبة من المكتبات العظيمة تحتوي على كتب ومجلدات نفيسة نادرة الوجود فدخلها ابن سينا وأقبل على المطالعة والقراءة وأكبَّ على الاخذ من كتبها النفيسة وأعمل حافظتهُ فأخذت تلتهم ما تجد امامها من فنون وعلوم وعثر هنالك على كتب لم يرها احدٌ قبله فشرع يكتب عنها مذكرات نافعة قيمة ذات فوائد عظيمة ولم يبلغ الثامنة عشرة حتى اتقن العلوم الفلسفية اي اتقان وارتوى من منهلها العذب وبلَّ غلته . واتفق ان تطرقت النار الى هذه المكتبة العظيمة واحترقت بما حوته من الكتب وذلك بعد خروج ابي علي منها فرماه أعداؤه بالتهمة ونسبوا اليه احراق المكتبة ليتفرد بالعلوم والكتب التي اكتسبها منها وليشتهر بهذه العلوم وينسبها الى نفسه . ولكن مؤلفات هذا القطامي العظيم التي حوت العلوم الفلسفية والحكمية قد ملأت الفراغ الذي احدثه احتراق المكتبة وسدت تلك الثلمة التي

حدثت من جراء ذلك . ثم شرع ابو علي في التأليف وصنف كثيراً من الكتب واتفق ان توفي والده في تلك الايام — والظاهر ان وفاته كانت سنة ٣٩٢ هـ — فتصدى الشيخ بعد ذلك للاعمال السلطانية التي كانت لابيه واستمر في ذلك العمل حتى اضطربت أحوال ما وراء النهر واختلت الامور فسافر الى خوارزم اضطراراً ونزل ضيفاً كريماً على ابي الحسين السهيلي وزير علي بن المأمون خوارزمشاه فأكرم مثواه وتلقّاه بكل ما يليق بمقامه وطلب اليه أن يصنّف الكتب — وكان أبو الحسين السهيلي هذا من جلّة أهل الفضل والادب في ذلك العصر وكان ينظم الشعر وله اشعار عربية رائقة ذكر بعضها صاحب معجم الادباء في كتابه . وكان وزيراً للخوارزمشاهية ، وفي سنة ٤٠٤ أي في عصر المأمون بن المأمون سافر الى بغداد دار الخلافة العباسية وعاش فيها الى سنة ٤١٨ — وأما أبو علي فقد عاش في سمنة ورخاء في البلاط الخوارزمشاهي ونال من علي بن المأمون والمأمون بن المأمون بعده كلّ اكرام وعاشر بعض اهل الفضل واختلط بجلّة العلماء كأبي ريحان البيروني وابي نصر بن عراق وابي سهل المسيحي — وكان أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني من اعاظم علماء هذا العصر وله تآليف كثيرة منها كتابه المعروف (بالمائة) في الطب . قال ابن البيري في كتابه تاريخ مختصر الدول « ودرس ابن سينا الطب على ابي سهل المسيحي » وهو مرتاب فيما يقوله والظاهر انهُ قول لا يبأ به لان أبا علي لو كان متلمذاً عليه لذكره في رسائله ولو اعتقد فيه كالتلمذ لدلّه ايضاً . ثم من اين تعلم أن أبا سهل كان في مدينة بخارى ؟ وبعد هذا كله فان أبا علي قد صرّح ان الطب ليس من العلوم الحرجة وانهُ قرأه على نفسه ولم يدرسهُ على احد ولم يُشر احدٌ من المؤرخين الى ذلك فكون ابي سهل من اساتذة ابي علي لا يخلو من تأمل

وفي سنة ٤٠٣ سافر أبو علي من خوارزم لسبب غير معلوم ولعل عدم اكتراث خوارزمشاه لأبي الحسين السهيلي الحامي لاهل العلم والادب وعدم الاهتمام به كان هو السبب . وقد ذكر صاحب كتاب (جهار مقاله) في السبب الذي سافر من اجله أبو علي حكاية لا ريب في سقمها حيث يقول إن فراره كان خوفاً من السلطان محمود الغزنوي بين الدولة وقد علّل القاضي نورالله في كتاب مجالس المؤمنين ذلك وقال أن تشيُّع أبي علي وتعصُّب السلطان لمذهب اهل السنّة كانا سبب هذا الخوف فأراد ابو علي ان يذهب الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير الذي كان من السلاطين المتشيّعة والظاهر ان ابا علي لم يقصد قابوساً لتشيعه بل لانهُ كان من الفلاسفة والادباء وكان يحب اهل الادب ويهتمّ بهم فقصده لذلك . غير انهُ لما كان على وشك الذهاب الى جرجان سمع أن قابوساً قد قبض عليه وسجن ثم قتل فاضطرّ الى العود الى دهستان ومرض هناك ولما عادت اليه صحته وتعافى من مرضه ذهب الى جرجان . وفي كتاب (جهار مقالة) رواية

عن زيارة الشيخ لقابوس بن وشمكير والطريقة التي داوى بها الشيخُ أحد أقارب هذا الامير وقد نظمها مولانا جلال الدين الرومي في الجزء الاول من كتابه المسمى بالمثنوي . غير أن المستفاد من رسالة أبي علي انهُ لم يلاقِ قابوساً . فلا بدَّ لنا اذن من ان نقول ان الرواية المذكورة في كتاب (جهار مقالة) سقيمة لا أصل لها

ويقول أبو الفداء في تاريخه ان أبا علي قد ذهب الى قابوس بعد ما أقام عند مجد الدولة البويهي وخدمهُ مدة ولكن الذي نعلمهُ هو ان أبا علي سافر الى الري في سنة ٤٠٤ ولم يكن قابوس حيًّا في ذلك التاريخ . وعند ما كان أبو علي مقيماً في جرجان استأجر لهُ احد الفضلاء بيتاً الى جنب بيته وأنزل ابا علي فيهِ وكان يتولى أموره ويتعهدها وهنا اتصل بهِ أبو عبيد الجوزجاني المشار اليهِ آنفاً الآتي ذكره في محله وكان هذا يحرض الشيخ ويستفزهُ همته في التأليف والتصنيف . وكان الشيخ يتصدّى لبعض الاعمال السلطانية في جرجان ايضاً ولم يكن لديه متسع من الوقت للتأليف والتدريس . ومن الكتب التي ألفها في جرجان المجلد الاول من كتاب القانون ومختصر المجسطي وبعض رسائل ألفها لابي محمد الشيرازي . ويستفاد من مقدمة هذه الرسائل ان الشيخ قبل وصوله الى جرجان اصيب بامراض صعبة كان ابو محمد الشيرازي سبباً في تخفيف وطأتها . ومن جرجان قصد مدينة الري وخدم مجد الدولة وامه المعروفة بالسيدة والمسماة بزيدة وداوى مجد الدولة وكان مرضه السوداء ثم سافر الى قزوين ومنها الى همذان واتصل بكدبانويه — ولم نعرف من هي — وورد على شمس الدولة بن فخر الدولة حاكم همذان في مجلسه وشفاه من مرضه الذي كان يشكو منه وقد اختلفوا في السنة التي سافر فيها الشيخ الى همذان فالشهرزوري يقول في كتابه سافر قبل بدر بن حسنويه (وحسنويه هذا كان يحكم بعض بلاد كردستان) وقال ابو عبيد في مقدمته ان سفره هذا كان بعد مقتل هلال بن بدر بن حسنويه . وانا نعلم حق العلم ان بدر بن حسنويه وابنه هلالاً قد قتلا (سنة ٤٠٥) فعلى قول الشهرزوري يكون سفر الشيخ الى همذان قبل سنة ٤٠٥ أو بعد هذه السنة على ما قال ابو عبيد في مقدمته . والظاهر لنا ان الثانية اصح لان الشيخ قد طالت اقامته في جرجان وذهب من هناك الى الري وقزوين . ثم ان رواية أبي عبيد أصح ولعل الاشتباه الحاصل للشهرزوري هو من تصحيفه كلمة (قتل هلال) اذا كان قد قرأها (قبل هلاك) بدر بن حسنويه فنقلها كذلك . واما ابو علي فقد أصاب منزلة رفيعة عند شمس الدولة البويهي ولازمهُ في اسفاره فاستوزره وفوض الامور اليهِ ويظهر ان تصديه للوزارة كان بين سنتي ٤٠٥ و٤١٢ لان حوادث سنة ٤١١ تذكر لنا تاج الملك بهران وزيراً لشمس الدولة واما قبل ٤٠٥ فلم يكن قد سافر الشيخ الى همذان . وكان قد ضعف أمر الديلمة وافل نجم سعادتهم ولم يبقَ لهم في بلاد الجبال ما كان لهم من القوة وهاج الجند ونهبوا دار الشيخ ابي علي

واختفى هو خوفاً على نفسه ولم يضيع هذه الفرصة فاشتغل بالتأليف في ايام اختفائه ولم تمض ٤٠ يوماً على ذلك حتى اصيب شمس الدولة بالقولنج فاستدعى أبا علي ليداويه وفي بعض الروايات انهُ استوزره الشيخ ثانية . وفي سنة ٤١٢ توفي شمس الدولة وخلفهُ من بعده ابنه سماء الدولة وقبض على الشيخ وحبس في قلعة فردجان وبقي محجوراً عليه وله في هذه القضية قصيدة مطلعها : —

دخولي في اليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

ولم يفتهُ ان يستغل هذه المدة ويغتنم هذه الفرصة فقضاها في التأليف والتصنيف فألف فيها شطراً من كتبه وتآليفه . وفي سنة ٤١٤ هاجم همذان علاء الدولة ابو جعفر كاكويه حاكم اصفهان الذي كان أبو علي منهماً بمكاتبته وحبس لاجله فقرَّ تاج الملك وسماء الدولة من همذان . ولما رجع علاء الدولة عنها عادا اليها واخذا في استمالة الشيخ ووعداه بالحسنى . ولما يئس من انجاز ما وعداه به سافر مستتراً الى اصفهان . والذي يظهر لنا من رسائله وما يرويه غيره انهُ لاقى شدة ومحنة في همذان وان الدجالين من اهل العلم والادب قد آذوه وناصبوه العداء واتهموهُ بمعارضة القرآن الكريم واتخذوا بعض خطب الشيخ في التوحيد والالاهيات دليلاً لمدعاهم . ويظهر من كتاب ارسله الشيخ الى ابي عبيد الجوزجاني ان بعض الفضلاء قد رشا بعض الدجالين ليتهموا الشيخ في معتقده ومذهبه ، ومن الخطب التي استدل بها أعداؤه على زيغه هي الخطبة المسماة بالبزاقة وقد شرحها الحكيم عمر الخيامي في سنة ٤٧٢ بالفارسية وكان أحد فضلاء همذان يقول ان الكلَّ الطبيعي لهُ وجود في الخارج وكان الشيخ معارضاً لهُ ويظهر ان هذه المعارضة قد اشتدت بينهما حتى اضطرَّ أبو علي ان يستفتي علماء بغداد ويعرض المسألة عليهم ليحكموا فيها

***

ولا نعلم على وجهٍ من الدقة السنة التي سافر فيها الشيخ الى اصفهان ولكن المظنون ان سفره هذا كان بعد ٤١٤ . والذي نستفيده من مقدمة ابي عبيد الجوزجاني على كتاب « الشفاء » ان هذا الكتاب قد تمَّ تأليفه في اصفهان وكان الشيخ في ذلك الحين قد بلغ من العمر أربعين سنة ولكن لا يمكن الركون الى هذا القول لانهُ ينقضهُ في شرحه لسيرة أبي علي حيث يقول ان ابا علي لم يتوجه الى اصفهان الاَّ بعد ان انقضت مدَّة طويلة على وثبة علاء الدولة ومهاجمة همذان . فاذا كان ما يدعيه ابو عبيد من اتمام تأليف كتاب الشفاء في اصفهان وان عمر الشيخ كان في ذلك الحين أربعين سنة فيلزم ان يكون الشيخ قد توجه الى اصفهان قبل الواقعة بسنتين حيث شرع هناك باتمام التأليف . ولكن ابا عبيد قد نقض هذا القول . وأقام ابو علي في اصفهان عند ابي جعفر كاكويه

فارغ البال منعم الحال وتفرغ الى التأليف والتصنيف فأظهر درر فضائله ودوّن غرر حكمه وأودعها بطون كتب لا يزال البشر يستفيد منها ويرتوي من سلسلها العذب. قال ابن الاثير « ابو جعفر كاكويه كان ملحداً زنديقاً ولذلك صنف أبو علي كتبه في الزندقة والالحاد وردّ الانبياء عنده » ولكننا لم نعلم حتى الآن اي كتاب لابي علي كتب على رد الانبياء على اننا نقول ان الرجل قد أيد الانبياء وأخذ بجانبهم الى حدّ ما وكان ابو جعفر يعقد في كل ليلة من ليالي الجمع مجلساً ويدعو اليه العلماء فكان ابو علي يتكلم ويتكلمون ويتباحثون في شتى المسائل. ومن الامور التي اقترحها علاء الدولة على الشيخ فأجاب طلبه وقام بما أراد هو الرصد الذي اشتغل به الشيخ مع تلميذه ابي عبيد الجوزجاني مدة لا تقل عن ثماني سنين ولكننا وياللأسف لا نعلم من ذلك الرصد والامر الذي انتهى اليه شيئاً. وكان ابو علي ملازماً لابن كاكويه في جميع اسفاره ومنها التي دارت فيها الحرب بين علاء الدولة وجيش خراسان في سنة ٤٢٣ وقد حضرها أبو عبيد واصيب بالقولنج وكان يحب مصاحبة علاء الدولة وعدم التخلف عنهُ فاستعمل ادوية حارّة اثرت فيه فانحرفت صحته وضعف مزاجه فاعتلّ وفقد نشاطه ولم يقدر على القيام بالامور كذى قبل وزاد الطين بلّة ما ارتكبهُ بعض الاطباء وغلطاتهم من ذوي الاغراض حتى استعمل من الادوية اكثر من اللازم فأحدث له ذلك مغصاً في الامعاء وأدّى الى وفاته وذلك سنة ٤٢٨ وهذا قول أجمع عليه المؤرخون وكتبهُ ابو عبيد ايضاً فعلى هذا يلزم ان يكون الشيخ قد عمّر ٥٨ سنة. ولكن أبا عبيد قد اختلط عليه الامر فهو يقول أن الشيخ في سنة ٤٠٤ كان يناهز الثانية والثلاثين من عمره فعلى هذا القول تكون ولادته في سنة ٣٧٣ ويكون عمره عند وفاته ٥٥ سنة بيد ان أبا عبيد مع انهُ يتفق مع غيره في سنة الوفاة يقول ان عمره كان ثلاثاً وخمسين سنة وهذا سهو منهُ

***

ولكن هناك ملاحظة أخرى وهي انا اذا جعلنا كلتي (شجع) و (تكز) المذكورتين تاريخاً للولادة والوفاة فكلمة (تكز) تساوي ٤٢٧ وعلى هذا يكون عمره ٥٤ سنة وهذا لا يطابق ما كتبهُ ابو علي عن نفسه في سيرة حياته. وقد اختلف المؤرخون في محل وفاته وقبره ايضاً. قال ابن الاثير في وقايع سنة ٤٢٨ « وفيها توفي أبو علي بمدينة اصفهان » وهناك قول آخر بأن الوفاة كانت في همذان وحمل جثمانه الى اصفهان ودفن فيها. والصحيح انه توفي في مدينة همذان ودفن فيها وقبره معروف هناك يزوره السائحون والناس

[للبحث تتمة]